12 - الأسباب الداعية لاعتماد فرضيات هيلمسليف لتقييم المنوال النحوي العربي

يبدو لنا أن فرضيات هيلمسليف حول بنية اللّغة تمثل منطلقا متينا لتقييم المنوال النحوي الآني الّذي خلّفه النحاة العرب لخصلتين هامتين فيها :

- أنّها تستند إلى خلفيّة إبيستمولوجيّة جيّدة توضّح خصائص صياغة النظريات العلميّة وما يميّزها من ضدّها.

- أنّها تفسّر بصفة متكاملة أخطاء النحاة الأروبيين القدامى على مستوى صعيدي التعبير والمضمون أو الدال والمدلول. وتفسّر طبيعة العوائق المعرفيّة الّتي أوقعتهم فيها. وتمكّن في الآن نفسه من تجاوزها وبذلك تضمن الحدّ الأدنى الضروري من الكفاية الوصفيّة بالنسبة إلى كلّ منوال يعتمدها.

تشمل فرضيات هيلمسليف صعيدي التعبير (أو الأصوات) والمضمون (ما يسميه تقريبا مارتيني مستوى التقطيع الأوّل والتقطيع الثاني). ولكنّنا سنعتمد فرضياته لتقييم صعيد المضمون من المنوال النحوي العربي لأنّ النحاة العرب قد وُفّقُوا إجمالا كما وفّق قبلهم غيرهم في ضبط الوحدات الفونولوجيّة للسانهم عندما طوّروا كتابتهم، ولأن صعيد المضمون هو الّذي ركز عليه قراء التراث النحوي وخاصّة لأنّه أكثر تشعبا وتعقيدا من صعيد التعبير.

لقد صيغت منوالات نحويّة عديدة تستند إلى فرضيات هيلمسليف بصفة صريحة أو تستند إلى فرضيات مساوية لها بشكل ما وإن اختلفت خلفيتها الثقافيّة. وفي هذا النطاق نذكر قولين شاعا عند كثير من اللسانيين:

1 - الحذر المنهجي من المعنى - وشواهده كثيرة عند مارتيني وبلومفيلد وحتى التوليد يين.

2 - وتضامن التعبير والمضمون

نستدل على إقرار هذا المبدإ عند كثير من اللسانيين بقول مارتيني في مبادئ في اللسانيات العامّة:

"اللفظ هو الضامن للطابع اللّغوي"